

تسع إيزيديات مغتصابات يخضن رحلة أسطورية

«حوريات الجبل» رواية درامية تحاول قراءة واقع مأساوي



نساء ضحايا التطرف (لوحة للفنان إسماعيل الرفاعي)

الواقعي في مجمل أدبه السردية. فيكون الخيط الرابط لمجمل رواياته علاقة حب، تكون هي المهيمنة التي يرسم مساراتها لتأخذ الحدث أو الأحداث الأخرى وتتحول إلى مهيمنة سردية أولى. إذ ما انفك الكاتب يخطب نسيجه الحكائي بشيء من رومانسية حاملة في أجواء مشبعة بعلاقات برية تقف ضدها عناصر شر، ليرسم ملامح درامية المشهد، ويتحول الصراع الدرامي إلى عناصر تشويق وروي كبرى.

في «حوريات الجبل» الرواية الأخيرة في «الثلاثية» يتتبع الكاتب تسع بنات إيزيديات يقعن في شرك السبي الداعشي

يحرص الروائي على المحافظة على عنصر البراءة ويجده هو المسوغ لتلك الحياة العراقية القاسية وبالظروف الاستثنائية المعاصرة، فالكتاب جبل على معالجة الحياة العراقية والابتعاد عن مشاكسة التاريخ البعيد أو روايات الأساطير وما شابهها، فهو كاتب مادته المأساة والحروب والفواجع الآتية غالباً. لكنه أيضاً يعمل على تغريب القارئ في هذه الثلاثية، ويذكر القارئ قصة الغراب في «عذراء سنجان» وبحيرة الدموع ووادي الغزلان في رواية «الحوريات»، كل تلك التغييرات تدخل مختبره السردية وبمعالجة درامية لتغريب القارئ المعاصرة واللحظة الآتية بصياغة فنية لأسطورة الفجيعة، كي تكون ملامسة لشغاف الحدث المرير.

إن أسطورة السالم لا يفصلها عن الواقع سوى جدار شفاف ورقيق يختلط فيه الحلم والواقع معا لينتج لنا أدبا يفوق فيه تصنيف الثلاثيات.

كل تلك الأسئلة يفجرها الكاتب على لسان شخصيات الرواية وهي تحاور بعضها بعضاً. إذ تكشف الرواية عن إخلاص الكاتب لقضية ظلم مجتمعي كبير لينتصر لها من خلال الأدب الروائي سلاحه الذي يحارب به التطرف. وينتصر من خلاله لمأساة سنجان الحالية، التي تضاف إلى رصيده من مذابح حصلت تاريخياً لهذا الشعب المظلوم. في الجزء الثاني تعود الأحداث إلى الانتظام وتأخذ التسلسل المنطقي بعد وصول الراعي إلى أرض مسيطر عليها من تنظيم الدولة، ويكف بإيصال البنات إلى زوئهن عبر رحلة مسير مشياً على الأقدام، وعبر تحد محفوف بالمخاطر. تفقد واحدة منهن حياتها عندما يحاصرهما الطلق، فيأمر الأمير القرينسي بتركها لتخوض مخاضها لوحدها وتترك لتنهشها الضباع، والثانية ترمي نفسها من فوق قصة الجبل لتقع في بحيرة الدموع، تلك البحيرة التي ينسج الكاتب ببراغة أسطورة متخلية عن تسع حوريات يغتسلن بالدموع كل يوم على حافة هذه البحيرة الأسطورية بسبب فجعية متخيلة حصلت لهن. ويجبر القرينسي رافيار الراعي على قص حكاية هذه البحيرة ليتمتع بها.

إن معظم السرديات الغربية والعراقية بالذات قد وقفت بالضد من دون اجتراح حقيقي لما يؤمن به الرجل المنتمي إلى هذا التنظيم المتطرف، ولم تأخذ جانب الحياء في تفكيك طرائق تفكير هؤلاء المتطرفين. وتلك قضية شائكة يكون فيها الانفعال اللاواعي هو السبيل الوحيد لرسم ملامح شخصية فيها من الرهاب والتعجرف والقسوة في السلوك والتصرف. يشغل السالم في مشروعه الروائي على ما اجترحته له من مصطلح يدعى «رومانسية الحدث

لم تبدأ الرواية في رحلة البنات التسع مع الأمير القرينسي وحمايته ودليله الراعي الإيزيدي رافيار الذي كان يعمل مع تنظيم الدولة في الظاهر، ولكن قلبه مع شعبه وديانته. لكن الكاتب قلب الخط الدرامي المعتاد وألغى فكرة التسلسل المنطقي للحدث ونموه، فعمل على إفتشاء اللعبة السردية منذ الصفحات الأولى، بأنه جعل البنات السبع في مستشفى للولادة في دهوك بعد نزولهن من الجبل بعد رحلة التسعة أيام.

كل واحدة تقدم نبذة عن حياتها بمساعدة الطيبية باران التي تعاطفت معهن والطبيب الكردي كاكه فرياد، فتكشف المشاهد اللاحقة بانورامية الصراع ومصير الأجنة من أمهات إيزيديات وأبناء من تنظيم الدولة، بين رفض الولادات أو قبول بعضهن بالأمر الواقع. إنه سرد متسلسل من الإفادات والأجواء الترقبية لحدث مأساوي محير تتيح منه المزيد من الأسئلة المقلقة التي تثير في ذات القارئ الحيرة عن مستقبل الولادات وهل هم مسلمون أم إيزيديون؟

أسطورة الواقع

ينتهي الجزء الأول من الرواية ناسفاً كل عناصر التشويق التقليدية ليضع القارئ في رحلة الموت مروراً عبر مناطق التنظيم إلى مناطق يسيطر عليها الكرد، حتى يجد القارئ نفسه مرتحلاً مع مجموعة السبايا والقرينسي والدليل. كيف يستقبل الأهل بناتهن المغتصابات والمطلق سراحهن بتلك الصورة؟ وما هو مستقبل جيل من الولادات لهم من أبناء كانوا مقاتلين في مشروع دولة إسلامية مقترضة؟

تناولت الكثير من الأعمال السردية العراقية ما يمر به العراق من مأس وعنف ودمار وصراعات وحروب متلاحقة وأحداث درامية استلهمت الروايات، لكن الكثير منها سقط في الانفعال والسطحية والأحكام المسبقة، ما يجعل من الروائي جزءاً من الصراع ويفقد بذلك مرونته في فهم ما يحدث ونقله بجرأة وحياد دون تخلٍ عن دور المقاوم للعنف.

خضير فليح الزبيدي
كاتب عراقي

«حوريات الجبل» هي ثالث ثلاثية الروائي العراقي وارد بدر السالم. لم يجمع ثلاثيته بسلسلة روائية، كما لم يشر في رواياته الثلاث إلى كونها ثلاثية سوى إعلانه إلى الصحافة عن هذا الموضوع.

لكن كل ملامح الثلاثيات موجودة في نصوصه الروائية الثلاث، ليس كونها ثلاثية جيلية، بل ثمة نمو في شخصيات النصوص وتحركها مثل شخصية الراعي رافيار في «بنات لالش» و«حوريات الجبل»، كما أن البيئة الحاضرة للنصوص الثلاثة كانت هي ذاتها «جبل سنجان/ المجتمع الإيزيدي» مما يؤشر إلى هذه النصوص وكتابها يحق له أن يعلن ثلاثيته.

رحلة في الجبال

لا أعرف على وجه الدقة وقبل نجيب محفوظ وعبد الرحمن منيف هل هناك في الرواية العربية رواية ثلاثية؟ وهل كانت الثلاثيات كمنجز روائي مشروعاً يكتمل في إنتاج الأجزاء. وهل كانت الرواية الثلاثية تقليداً سردياً جزئياً الرواية الأميركية والغربية قبل الرواية العربية؟ لقد دشّن بدر السالم وعلى مدى السنين الأخيرة من تجربته لخوض غمار الثلاثيات السردية كمشروع يكتمل في منجز سردي ثقيمة واحدة، وهل نجح في ذلك؟

ربما توفر المادة الدرامية والغضاء المشبع بالمأساة هما اللذان جذبا الكاتب للخوض في كشف روايته لمأساة الإيزيديين كاشفاً عن تداخلات كثيرة، بمعالجة سردية لعدة أحداث كانت مجهولة لدى الكثيرين. كما يبدو لي من دراسة فاحصة للرواية الثلاثة «حوريات الجبل» ومحاولة ربط الأجزاء الثلاثة في هذا المشروع المتسلسل.

في كل الأجزاء الثلاثة يبقى الخيط الرابط هو البنت الإيزيدية مقابل قوى التطرف التي هاجمت القرى الآمنة التي لا تدين بالإسلام ولكنها عراقية صميمية، ترتبط بشيء من الوداعة والسلام مع محيطها منذ الآلاف من السنين. أيضاً ثمة علاقات حب وجواسيس وخيانات في تلك الأجزاء في فضاء البرية والخوف والأسر والسبي في بيئة جبلية، تسنن للكاتب من خلالها إطلاق مخيلة جامحة أعطت لتلك البيئة عناصر نجاح لهذا المشروع المركب. فقد كان تتبع الأمكنة ومسماياتها وأسماء الشخصيات مطابقة أكثر من المطابقة الواقع لها، وكان سير الأحداث أكثر درامية، في محاولة لإقناع القارئ بحس المطابقة والتوثيقية المفترضة بين خيال الروائي والواقع الثقيل.

في «حوريات الجبل» الرواية الأخيرة في «الثلاثية» يتتبع الكاتب تسع بنات إيزيديات يقعن في شرك السبي الداعشي، أجبرن على ممارسة «جهاد النكاح»، ومن ثم يقوم الخليفة بإطلاقهن وهن في شهورهن الأخيرة من الحمل، حيث يذكر الأمير القرينسي أن مبادرة إطلاقهن ومحاولة إيصالهن إلى أماكن تواجد عوائلهن هي محاولة لزرع جيل جديد من الأبناء الدواعش في مناطقهم. ربما لم تحصل القناعة في تبرير القرينسي لحجة إطلاق تسع بنات في الأيام الأخيرة قبل الولادة ونقلهن عبر الجبال بتسعة أيام مريرة، كانت بمثابة المحور أو الحدث الرئيس الذي شكلته ما يعرف بـ«الحديقة الروائية».

قصص بطلاتها نساء يقتحمن المسكوت عنه

عمان - تقدم القاصة الجزائرية وداد أبوشنب في مجموعتها «إيفا» أدبا واقعياً ينهل من التفاصيل التي تعيشها المرأة في حياتها اليومية، لكن المؤلفة تستنطق هذه التفاصيل لتولد في ذهن القارئ أسئلة كانت غير مكتملة أو مسكوتاً عنها أو غارقة في مساحات الروتين، وجاءت المجموعة، الصادرة عن «الآن ناشرون وموزعون» في 148 صفحة، وأهدتها الكاتبة إلى «كل حواء وكل رجل حقيقي» مخاطبة إياهم بأن «حافظوا على البسمة في جبين شمسه الشتاء.. واحقوا ما تنقش لنا من أمل على هذه الأرض.. لا تنقضوا». وتحضر المرأة في المجموعة في كل مفاصل قصصها، فهي تارة تصنع



«من قلب الجحيم» مختارات لأيقونات ثقافية عالمية

ميلانو (إيطاليا) - كتاب «من قلب الجحيم» في ماهية الشعر، إعداد وترجمة الكاتبة والمترجمة العراقية خالدة حامد، كتاب يتخذ عنوانه من ماهية الشعر الحقيقي، والذي يحسب راي هيدغر، هو الذي يكشف ماهية الوجود وماهية اللغة؛ والشاعر الحقيقي هو القادر على تحمل أعباء المزاجية بين الفلسفة والشعر في قلب الجحيم. ومن جهته فإن الشاعر الأميركي جيمس رايت، وحينما تلقى رسالة من ابنه فرانز، فيها قصيدة كتبها له، رد عليه «أنت شاعر! مرحبا بك في الجحيم».

هذه المختارات يجمع بينها قاسم مشترك هو الشعر وإن فرّق بينها الزمن والإنتاج، فقد صنّف القاص شعراًهما ضمن مدارس أو حركات أدبية مختلفة، سيلفيا بلاث وفرخزاد، مثلاً، في خانة «الشعر الاعترافي»، جيمس رايت وروبرت بلاي، في خانة «الصورة العميقة».

ويكمن أن ننظر إلى هذه المختارات من زاوية كونها محاولات في ترجمة الشعر أو شعرية الترجمة، حينما ينجح مترجم مثل إليوت، أو بلاي، في الإيساك بالقصيدة في محاولة منه للعثور على ذاته في نص آخر، عبر اختراق حجابات شاعر آخر، وانتزاع قشرة النص والدخول إلى لبه، أو لفتح نافذة أخرى نطل منها على مهارة الشاعر المترجم وبراعته وهو يفك اختام نص محكم الغلق وصولاً إلى الحقيقة الساطعة وهي أن «ما يبقى، يؤسس الشعراء»، لأن الشعر تأسيس بالكلمة وغير الكلمة.

وتتساءل المترجمة في مقدمة الكتاب الصادر عن منشورات المتوسط -إيطاليا: كيف يمكن الوصول إلى ترجمة نابضة بالشعر؟ وما هي عدتها؟ يمكن القول إن الموهبة الشعرية هي



نظرة من عمق جحيم الشعر (لوحة للفنان غسان العويس)